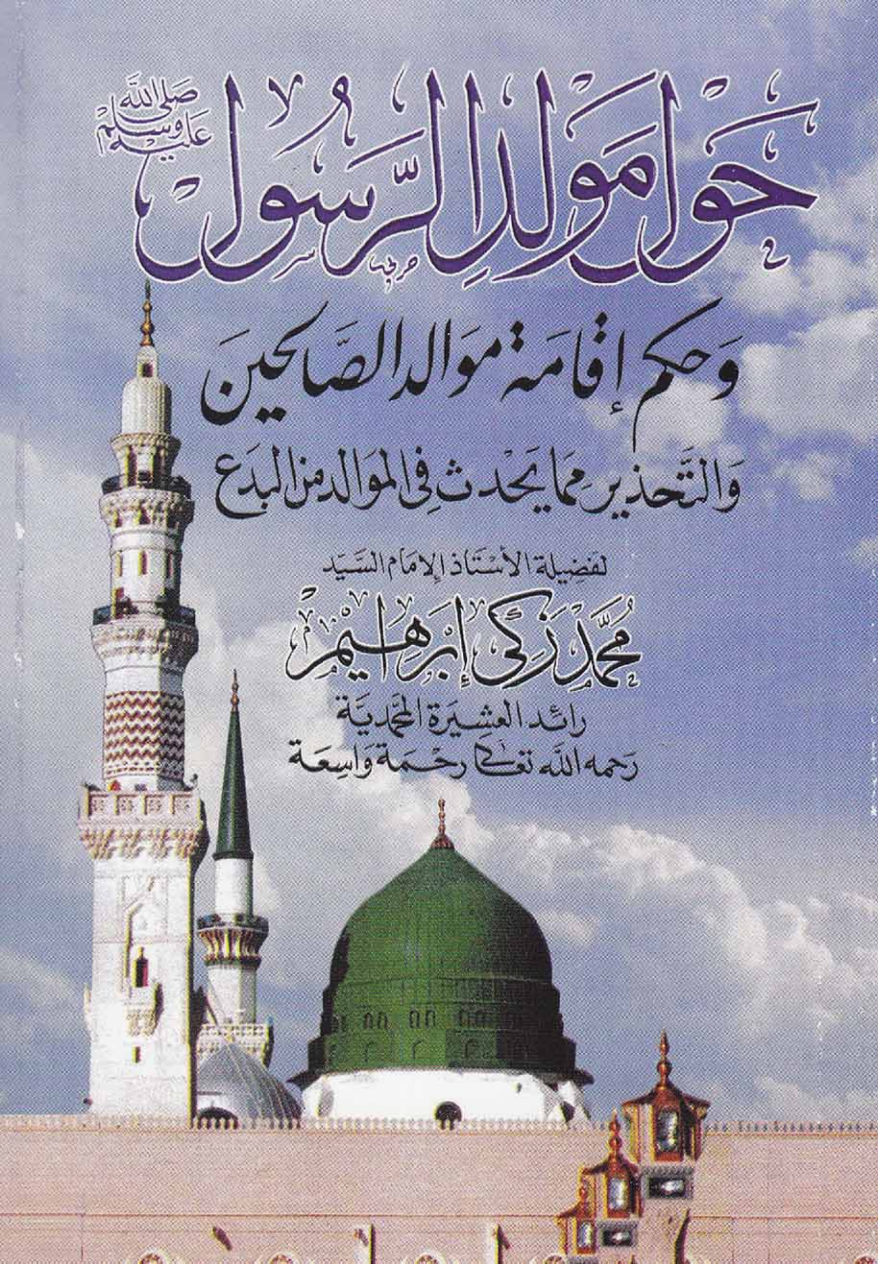

حول مولد الرسول صلى الله عليه وسلم
وحكم إقامة موالد الصالحين
والتحذير مما يحدث في الموالد من البدع
لفضيلة الأستاذ الإمام السيد
محمد زكي إبراهيم
رائد العشيرة المحمدية
رحمه الله تعالى رحمة واسعة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

حمداً لله ، وصلاة وسلاماً على مصطفاه ، ومن والاه في مبدأ الأمر ومنتهاه .

أمَّا بعد :

فهذه كليمات مختصرات كتبناها على عَجَل بمناسبة ذكرى المولد النبوى وموالد الصَّالحين ؛ فهى ابتغاء وجه الله وحده . . وإن غضب النَّاس من المتمصوفة أو المتمسلفة جميعاً . .

فليس دون الله مرمى، وإليه المشتكى ، وإليه الرجعى، ومنه الهدى ، ولا رادَّ لما قضى ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله .

حول الاحتفال بذكرى المولد النبوى

كتبنا أكثر من مرة نطالب ألا تقل مدة الاحتفال بالمولد النبوى عن سبعة أيام فى ساحة السرادقات ، منها الليلة اليتيمة ، وكان بعضهم يستكثر هذه المدة، أو يعتذر عنها بما هو أقبح من الذنب ، رغم أنها أكبر مناسبة لأكبر مؤتمر صوفى محلى ، فضلاً عن أنها أعظم مواسم الخير وذكريات الاعتبار والقدوة والتبصير .

وقد قال على باشا مبارك فى خططه : « إن السيد البكرى كان يهتم بذكرى المولد ، وبالخيام التى تنصب فيه ، حتى جعل ليالى الاحتفال ثمانية عشر ليلة » .

قال : « وكان البكرى فى أوائل العشرة الأخيرة من صفر يفتتح المولد النبوى بمأدبة فاخرة للخاصة ، ولعامة

أهل الطريق من كل المراتب وشيوخ الزوايا والتكايا والدلائل ، ويقرأ القرآن : ربعة فى كل ليلة ، ويقرأ البخارى درسًا ، ويخلع البكرى فرجية صوف على كل شيخ فى كـــل ليلة ، وكان يخص شيخى الرفاعية والسعدية بفراجية جوخ » .

قال : « ومن ليلة الرابع من ربيع تكون الصواوين مستعدة لإحياء الليالى الباقية بالساحة ، وكان مرتب المولد الذى تصرفه الحكومة للبكرى (فى هذا الوقت) نحو ستمائة جنيه مصريًا سنويًا » انتهى .

ونرجو ألا يستكثر هذا أحد ، ولا يبدعه الجامدون والمتنطعة ، فإذا كُنَّا نوافقهم فى كفاح المحرمات والشعوذات ، فلسنا نوافقهم قط فى معارضة ما يخلو من البدع والمنكرات .

وها هو العالم السَّلَفى أبو شامة شيخ الإمام النووى

وصاحب كتاب (الباعث على إنكار البدع والحوادث) يثنى مزيد الثناء على الملك المظفر ، صاحب (أربل) المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، وهو أول من احتفل من الملوك بذكرى المولد النبوى ، بما كان يفعله من الخيرات فى هذه الليلة المناسبة ، مما لم يعرف بعضه عن أى ملك سواء على ما ذكره ابن الجوزى فى كتاب (مرآة الزمان) بحيث كان ما ينفقه ينيف على ثلثمائة ألف دينار (ثلث مليون جنيه ذهبيًا) ! !

وسئل الإمام المحقق أبو زرعة (المتوفى سنة ٨٢٦ هـ) فى ذلك ؟ فقال : الوليمة وإطعام الطعام مستحب فى كل وقت ، فكيف إذا ضم إليه السرور بظهور نور النبوة !

ولا يلزم من كونه بدعة . . كونه مكروهًا ، فكم بدعة مستحبة ، بل واجبة .

قلنا : وقد سبق أن قررنا أن الاحتفال بذكريات الموالد

والوفيات ليس بدعة قط بنص الكتاب والسنة ؛ فمع أنَّ إحياءها مشار إليه بالنص القرآنى والفعل النبوى ، فهى داخلة تحت عموم الأحكام المستحبة أو المباحة على الأقل باعتبارها جميعًا وجوه خير ، جاء فى كل منها حث وترغيب على حدة ، ثم تجمعت هذه الخيرات فى صورة مواسم وموالد ، وتجمع ألوان الخير لا يحول أحكامها إلى أضدادها ، لا شرعًا ولا عقلاً . .

أمَّا ما يخالطها من المنكر ، فنحن أشد الناس إنكارًا له ومكافحة بحمد الله .

ثُمَّ : إنَّ البدعة الممنوعة ما استحدثت فى شأن العقيدة أو العبادة بلا دليل خاص ، ولا هى تنطوى تحت حكم عام ، أمَّا ما كان من العادات فالتحقيق أنَّه لا بدعة فيه على الإطلاق ؛ بل إنَّه قد ينسحب عليه حكم (المصالح المرسلة) وما هو منها ، بل لَعَلَّ فيه ما يعتبر (بدعة واجبة) يحرم تركها ، ويحاسب مهملها .

وقد نقل صاحب (نفح الطيب) عن اهتمام السلطان موسى بن عثمان أول ملوك زناتة على تلمسان (المتوفى سنة ٧١٨ هـ) ما يعتبر من الغرائب أو من المذهلات فى الاحتفال بهذه الذكرى .

وكان السلطان الظاهر برقوق (من مماليك القرن الثامن) ينفق على المولد النبوى ما لا يقل عن (عشرة آلاف مثقال) من الذهب الحُرِّ . وكان السلطان (أبو سعيد جقمق) ينفق أضعاف هذا المبلغ على هذه المناسبة .

وكان لملوك الأندلس والهند والعراقيين مزيد عناية بالمولد قد تبلغ حد الخيال .

وضَمَّ الإلهُ اسْمَ النَّبىِّ إلى اسمه
إذ قال فى الخمس المؤذنُ أَشْهَدُ
وشَقَّ له من اسمه ليجله
فذو العرش محمُودٌ وهذا مُحَمَّدُ

الاحتفال بذكريات الموالد مشروعة

سبق أن قررنا وكررنا حكم الشرع فى الاحتفال بأيام ذكريات موالد الصالحين عموماً ، ومولد الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم خصوصاً ، وأنها أمر جائز مشروع ، مندوب إليه فى ذاته ما لم يلابسه محرم أو مكروه فيتغير الحكم عليه بحسب ما لابسه وما دخل عليه .

ومن هنا كانت هذه الاحتفالات مشروعة من حيث ما فيها من الخير المحثوث عليه المرغب فيه ، ثم كانت بالتالى ممنوعة من حيث ما فيها من الشر والفساد والتلف المخالف للنص وللمعلوم من الدين بالضرورة ، ولما كان دفع المضرات مقدم على جلب المنافع حكم بعض العلماء احتياطًا وتحرزًا بحرمة هذه الموالد ، لغلبة الحرام الصريح فيها ، واستخزاء منافعها ، بجوار استشراء مفاسدها .

لكن الأصل فيها مشروع مطلوب محثوث عليه ، ومن هنا كانت مطالبتنا الموصولة بتطهير هذه المناسبات من الأوزار والأوضار حتَّى تؤدى وظيفتها الكبيرة التى لا يؤديها غيرها .

قُلْنَا : إن الله عَظَّم يوم المولد ويوم الموت على لسان الحق ولسان البشر ، قال تعالى : ﴿ **وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾ ، وهذا التركيب والترتيب القرآنى يفيد أنَّ ليوم المولد قدره العظيم ؛ فقد أخرج الله فيه إنسانًا من إنسان ، فدَلَّ على وجه أعظم من وجوه القُدْرة ، فيكون كيوم الموت والبعث يومًا من أيام الله ﴿ **وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ** ﴾ .

وقلنا : إنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم كان يحتفل بيوم مولده أسبوعيًا ، فقد سئل (صحيحًا) عن

ملازمته صوم يوم الإثنين فقال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « هذا يوم ولدت فيه » !!

وفقه الحديث : إنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم كان يحتفل بهذا اليوم شكراً لله تعالى بعمل طاعة ، فإذا نحن توسعنا فى الطاعة كان توسعًا مطلوبًا مشكورًا فى الخير ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ** ﴾ ؛ فيكون لا بأس بأن نشكر الله تعالى بعمل الطاعات المختلفة من العبادات والصدقات ، واستنباط العبر ، وبث العظات على تفضله تعالى بأن شَرَّفنا فجعلنا من أمة مَنْ كان مولده هذا بداية العز ، ونهاية السعادات ، الرحمة المهداة ، والنعمة المعطاة ، والمنية المبتغاة ، والغاية المفداة .

***

حكم إقامة موالد الصالحين وما يجوز فيها وما لا يجوز

هذه اللقاءات الكبرى التى تعودها النَّاس فى إحياء ذكريات آل البيت وأولياء الله الصالحين رضى الله عنهم لا ترفضها سماحة الإسلام ، ولا الأصول الشرعية ، ما دامت خالية مما نهى الله عنه ، مشروعة بالنظر إلى الأسباب الآتية :

أولاً : ثبت بالإجماع أنَّ النَّبىَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم كان يلازم صوم يوم الاثنين أسبوعياً ، فلما سئل عن السبب ، قال صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « **هذا يومٌ (١) ولدت فيه ، (٢) وأُنْزِلَ عَلَىَّ فيه** » ، ولهذا كان يحتفل بالصيام لإحياء هذا اليوم أسبوعياً ، فجاز لنا أن نحتفل بذكريات : (١) الموالد ، (٢) والمناسبات الشريفة ،

بما يحقق مصلحة الفرد والجماعة ، والدِّين والوطن ، ولا يخالف عمومات الشرع الشريف ، قياساً صحيحاً واستنباطاً .

ثانياً : ثبت أيضاً أنَّه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم احتفل بيوم عاشوراء الذى نصر الله فيه موسى على فرعون فصام عاشوراء ، وأذن صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بصيامه ؛ فجاز لنا الاحتفال بالمناسبات الكريمة فى حدود المشروع ديناً ودنيا ، ومن المناسبات ذكريات موالد أهل الله .

ثالثاً : كرم الله يوم الولادة ربانياً ، فقال : ﴿ **وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ** ﴾ ، وكرمه على لسان البشرية فقال تعالى : ﴿ **وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ** ﴾ ، وسَجَّلَ الله تعالى قصة ميلاد عيسى ، وكفالة موسى ، مما يدلُّ على أن فى ذكريات الميلاد ما يتعلق به من العظات والعبر ، مما يجب الاهتمام به والعكوف على بحثه والإفادة منه للأفراد والجماعات .

رابعاً : وقد وجَّه الله إلى إحياء ذكريات الصَّالحين عموماً بما أمر الله به نبيه المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم حيث يقول تعالى :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ﴾ .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ﴾ .

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ﴾ .

كما جاء فى سورة مريم ، وأشار فى ذكر كل واحد منهم إلى بعض خصائصه للاعتبار والقدوة (ولا يكون التذكير إلا للغير فرداً أو جماعة) ، والموالد تشكيلات من الأفراد والجماعات التى تستوجب التذكير .

خامساً : اهتم القرآن بالقصص ، ولا يكون القصص إلا إلى الغير ، فرداً أو جماعة ، على الأغلب ؛ فقال

تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾؛ فذكر من الأنبياء: يوسف، ويونس، وموسى، وهارون، وغيرهم.

وذكر من الصَّالحين: مؤمن آل فرعون، ومرسلي القرية، والخضر، ولقمان، وذا القرنين.

وذكر من الصَّالحات: أم عيسى، وأم موسى، وزوجة إبراهيم، وزوجة فرعون، وامرأة عمران، وغيرهن.

وذكر من الأشقياء: عادًا، وثمود، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الرس، وأصحاب الأيكة، وإخوانهم.

ثُمَّ بَيَّن تعالى بعض فوائد القصص، فقال: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾، وأمر باتخاذ القصص جزءاً من وسائل الدعوة فقال تعالى:

﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ، وكل هؤلاء موتى ، وفى هذا الأمر شمول عام تدخل فيه الموالد ، وليس أفضل ولا أمثل لتحقيق كافة مقاصد ذلك من تجمعات موالد الأولياء والصَّالحين بلا جدال .

* * *

لـم تَـزَلْ فـى ضـمـائـر الـكـون
تُـخْـتَـار لـك الأمـهـات والآبـاءُ
مـا مَـضَـتْ فَـتْـرَةٌ مـن الـرُّسـل إلاّ
بَـشَّـرَتْ قَـوْمَـهَـا بِـكَ الأَنْـبِـيَـاءُ

خلاصة الحكم الشرعى فى الموالد

ومن مجموع مفاهيم ذلك كله ، وفى فُسْحَة القواعد والأصول والفروع والسَّمَاحة الإسلامية ، وعدم وجود النهى عَمَّا فيه الخير والمصلحة ، ومع قاعدة « حيث كانت المصلحة فثم شرع الله » ، وفى قبول الأمة لذلك بالرضا (بغض النظر عمن أحدثه) ، ومع استصحاب أنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم كان يغشى الأسواق والتجمعات ليعرض رسالته المقدسة ، ثُمَّ ما يكون فى الموالد من القرآن والذكر والصدقة والقدوة والتعارف والتعاون على البر والتقوى ، ورواج التجارات وحلق الوعظ ودروس العلم والقصص والتاريخ .

كلُّ ذلك يجعل الموالد أسواق ثقافة وتجارة وتواصل ومحبة ، بما يكون من تبصير بحق الله وحق النَّاس ، مما هو

مطلوب شرعاً وعقلاً ، وبخاصة أنَّ النَّاس تأتى إلى المولد بوازع ذاتى روحى ، يستحيل تصور تجمع مثله فى غير هذه الموالد والمناسبات ، مهما كان شأن الداعى رسمياً أو شعبياً، ولهذا يتعين الاهتمام بالتماسها وتنظيمها لتوجيه الجماهير ، وإصلاح الأمور .

أمَّا ما يكون فى الموالد من البدع والمناكر التعبدية المنسوبة زوراً وكذباً إلى التصوف الإسلامى بالإضافة إلى التفاخر والتكاثر والدعاوى الباطلة ؛ فهذه مسئولية الرياسة العليا للتصوف رسمياً وشعبياً .

وأمَّا ما يكون فيها من الملاهى والمراقص والمسارح وألعاب القمار والاختلاط المحرم ونحوه ؛ فكل ذلك من مسئولية الحكومة التى تصرح به ، ولو منعته لامتنع ، ولأصبحت الموالد من أفضل المواسم النافعة للإسلام والمسلمين فى الدنيا والآخرة .

وأخيراً ..

لا بُدَّ من أن يؤخذ فى الاعتبار أنَّ إقامة الموالد مشروعة ؛ بل مستحبة فى ذاتها .

والحكم الفقهى المؤصل يقرر أنَّه « ليس كل ما لم يكن موجوداً فى عهد النَّبىِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فهو حرام » كما يزعم جلاميد البشر ، وسدنة الانغلاق التمسلفى المدمر .

وإلا فلا حضارة ، ولا تقدم ، ولا تجديد ، ولا ابتكار ، ولا اختراع ، وإنَّمَا هى عمالة ساقطة تشغل عن معالى الأمور ، وتغرى الجهلة والمغفلة بالسفاسف .

***

من مفاسد الموالد

الطبل والزمر على الذكر

* **حكم الله فى الذكر :**

فى القرآن : ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ ، والتبتل يتنافى كل التنافى مع الطبل والزمر والرقص مهما فلسفوه ، والتمسوا له أساليب المشروعية المزورة ، فالحق حق ، والباطل باطل ، والحق أبلج ، والباطل لجلج ، وكل محدثة (فى الدِّين) بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، والله يقول : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ ﴾ يعنى قدسه ، وهو لا يكون مقدساً مع الطبل والزمر .

وقد وصف الله المؤمنين بأنهم﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ ، ولا يكون الوجل مع الطبل والزمر ، ويقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، والخشوع لا يكون مع الطبل والزمر ، وكلُّ ما لم يثبت شرعاً ولا عقلاً فهو باطل ﴿ **فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ** ﴾ .

* **القياس الفاسد :**

ثُمَّ إنَّ قياس الاحتفالات والموالد على الأعراس والحروب والأعياد فهو قياس باطل من كل وجه منطقاً وديناً ولا حجة في الشرع ، ولا في العقل ، ولا في الأدب ، ولا في الكرامة لفاعل ذلك ، إلاّ أنَّها موروثات ومحاكيات وتقاليد ، فهي من المدسوس على التصوف الذي يجب على المقبلين على الله أن يكافحوه ، وأن يتخلصوا منه إلى العبادة النقية المصفاة من كل تهمة ومنقصة حتى لا يكونوا ممن قالوا : ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾ ، ويتعرضوا بهذا لأسوأ الأحكام في دين الله ودنيا النَّاس .

*** مراتب الأحاديث :**

ولا بُدَّ من التنبيه كذلك إلى أنَّ كثيراً من الأحاديث - التى يستدل بها هؤلاء المنتسبين زوراً إلى التصوف - كحديث لعب الحبشة فى المسجد ، وسماع النبى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم للجاريتين بداره فى العيد أحاديث ثابتة غير أنَّها لا تدل على ما ذهبوا إليه .

كما أنَّ هناك أحاديث مما يسردونها لا تثبت فى ميزان العلم ، ولا يستشهد بها فى أمور الدين ؛ بل منها ما هو فى مرتبة الوضع فضلاً عن النكارة والضعف والوهن ، وهذا النوع سأسقطه من الحساب ، ولنقف عند المقبول من هذه الأحاديث .

إذا عرفنا أنَّ لكل حكم موضعه من دين الله ، وأنَّه لا يجوز نقل حكم من موضع إلى موضع ، كما لا يجوز الأخذ بالقياس مع وجود النص ، تبين لنا شرعاً أنَّ

الأحاديث المقبولة المستشهد بها لم تكن أبداً فى أحكام الذكر ، وإذن لا يجوز أبداً نقل حكمها إليه ، وإلا كان خلطاً وتغليطاً أو تجهيلاً ، غير مشرف لأحد .

* **متى يجوز الطبل ؟ :**

فالمسلمون متفقون على أنَّ الطبل جائز فى العرس ، وفى الحرب ، وفى الأعياد ، بشروطه وصورته وحقيقته التى ورد بها ؛ فإقحام الطبل إذن فى الذكر ، وهو عبادة أساسية ، ركنها الأول التبتل والخشوع والانصراف إلى الله ، يعتبر خروجاً بالحكم عن محله ، فيفقد قوة الاستدلال ، ويتحول إلى بدعة منكرة لم يقل بشرعيتها أحد ، لا من الصوفية ، ولا من الفقهاء ، والقاعدة : « أنَّ الله تعالى إنَّمَا يعبد بما شرع ، فلا يعبد بالأهواء ولا بالبدع » ، وكُلُّ ما ورد من جواز الطبل فهو محصور كما أسلفنا فى العرس والحرب والموسم ، أمَّا الذكر بمقدماته وأصوله وأهدافه

فهو شىء آخر غير العرس والحرب والموسم ، وكُلُّ واحد من هذه الثلاثة له وجه وحقيقة تحتمل ادماج الطبل فيه ، أمَّا العبادة فليست من ذلك فى شىء بأية حال .

*** فعل النَّبىِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ومَنْ بعده :**

وبهذا يكون الأمر قد بلغ من الوضوح ما لا مرية فيه إذ لم يثبت - ولا حتى فى قصة الزير سالم ، وألف ليلة وليلة - أنَّ النَّبىَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، أو الصحابة ، أو التابعين ، أو الأربعة الأئمة ، ولا من قبلهم ، ولا من بعدهم ، ولا الأربعة الأقطاب ، ولا من ورث مقاماتهم ، ولا من ورثوا هم مقامه ، من قبل أو من بعد ، ولا مشاهير الأولياء ، حتَّى سيدى عبد السلام الأسمر ، وابن عروس، وأمثالهما ، لم يثبت من الطريق اليقينى ، ولا من طريق غلبة الظن أنَّ أحداً منهم فعل هذا ، إلاّ فى الحالات المشروعة ، وما ينسب إليهم من ذلك فإنَّمَا هو من دَسِّ الزنادقة والقرامطة وأدعياء التصوف ودخلائه .

*** فعل المتأخرين :**

وحتَّى لو سَلَّمْنَا جَدَلاً بأنَّ أحَداً من المتأخرين الصَّالحين حَدَثَ منه الطبل على الذكر ، فلا بُدَّ قَطْعاً بأنَّه كان فى حالٍ خرج به عن إرادته ، ومسلوب الإرادة له أحكام شخصية استثنائية خاصة ، لا يسمح بها الشرع إلاّ لأمثاله ، فأمَّا والعقل موجود والإرادة حاصلة ففعل ذلك معصية يؤدب فاعلها ويستتاب ، وإلاّ أقيم عليه حدّ المبتدعة عَبَثاً أو استحلالاً ، وأمَّا الجاهل فَيُعَلَّم ، فإنْ أصَرَّ على البدعة بعد العلم بالحكم أقيم عليه الحدّ ، هذا إنْ كُنَّا نعرف التصوف الصحيح ، فهل يذكر ذلك شيوخ آخر الزمن ؟! .

*** أقوال الأئمة :**

وما قَدَّمْنَاه هو ملخص ما قرره علماء المسلمين وأئمة التصوف بالإجماع ، كابن حجر الهيتمى فى «كف الرعاع»،

وابن الحاج فى «مدخل الشرع الشريف»، وهو خلاصة بحوث الغزالى فى «الإحياء»، والسهروردى فى «العوارف»، وأبى طالب المكى فى «قوت القلوب»، والقشيرى فى «الرسالة»، والمحاسبى فى «الإرشاد»، والقرطبى فى «الجامع لأحكام القرآن»، فضلاً عن طوائف الفقهاء والمحدِّثين وأهل الفتوى، ممن لا حصر لهم فى السَّالفين والخالفين .

*** كلام السهروردى :**

ثُمَّ استمع إلى السهروردى عند كلامه عن السماع يقول : « لا شَكَّ أنَّكَ إذا تخيلت بين عينيك جلوس هؤلاء للسماع ، وما يفعلونه فيه ، فإنَّ نَفْسَك تنزه أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ومن تبعهم عن ذلك المجلس » . . نعم . . هل يتصور أحدٌ فى الدنيا أنَّ أبا بكر وعمر وعثمان وعليّا مثلاً بوقارهم كانوا يدقون الدفوف ! !

ويهزُّون الأكمام !! ويتطوحون !! ذات اليمين وذات الشمال !! ، أو أنَّ رجُلاً صالحاً وقوراً متفقهاً فى أى عصر يفعل ذلك ؟!! . . وهذا بالطبع ما لم يكن مخبولاً أو مفتوناً !! فللمجانين أحكام أخرى .

*** الشَّافعى والمزنى :**

ومن الباطل أنْ يُنْسَب إلى الإمام الشافعى مشروعية ذلك . . وقد سئل الإمام المزنى - من كبار أصحاب الشَّافعى - عن هذه الدعوى : أيجوز ذكراً راقصاً على الطار والشبابة ؟ فقال : لا يجوز . ودافع عن الشَّافعى بقصيدته المعروفة التى منها :

حاشا الإمام الشَّافعى النَّبِيهْ
أنْ يرتقى غير معانى نبيهْ
أو يترك السُّنَّة فى نسكه
أو يدعى فى الدِّين ما ليس فيهْ

فالضربُ بالطَّار فى مجلس

والرقص والتصفيق فعل السفيهْ

هذا ابتداعٌ وضلالٌ فى الورى

وليس فى التنزيل ما يَقْتَضِيهْ

ولا حديث عن نبىِّ الهُدَى

ولا صحابىٍّ ولا تابعيهْ

إنّ ولى الله لا يرتضى

إلا بما الله له يرتضيهْ

إيَّاك تغتر بأفعال مَنْ

لا يعرف العلم ولا يبتغيهْ

أنكر عليهم إن تَكُنْ قادراً

فهم رجالُ إبليس لا شَكَّ فيهْ

*** ما نقله ابن الحاج عن الأئمة الأربعة :**

ونقل ابن الحاج أنَّ رجُلاً تَقَدَّم بفتوى فى سنة(٦٦١هـ) إلى رجال المذاهب الأربعة فى جماعة دخلوا مسجداً باسم الذكر ، تارةً بالكَفِّ وتارةً بالدُّفِّ ، فقال الشَّافعية : إنَّ فاعل هذا تُرَدُّ شهادته .

وقال المالكية : يجب على ولاة الأمور ردعهم وزجرهم ، وإخراجهم من المساجد حتَّى يتوبوا من هذا المنكر .

وقال الحنابلة : فاعل هذا لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ، ولا يقبل حكمه إذا كان حاكماً ، وإن عقد النكاح على يده فهو فاسد .

وقال الحنفية : الحُصر التى رقصوا عليها لا يصلى عليها حتَّى تغسل ، والأرض التى رقصوا عليها لا يُصَلَّى عليها حتى تحفر .

*** فتوى الطرطوشى :**

وسئل الإمام أبو بكر الطرشوشى - رحمه الله - عن الطبل على الذكر ؟ .

فأجاب قائلاً :

« مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة ، وأمَّا الرقص والتواجد فأول مَنْ أحْدَثَهُ السَّامرى لمَّا اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار ، وأمَّا القضيب (أى الدق بالعصا على الطبل) فأول مَنْ أحْدَثَهُ الزنادقة ، ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله ، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم . هذا مذهب مالك وأبى حنيفة والشَّافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين » .

*** بعض ما ورد فى ذلك :**

وفى الحديث عن النَّبىِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم :

« **الطبل حرام ، والمزامير حرام** » أى فى غير ما أبيحت له كما قدمنا .

وروى عليٌّ رضى الله عنه ، عن النَّبىِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، أَنَّه نهى عن ضرب الدُّفِّ ، ولعب الطبل ، وصوت المزمار ، حتَّى إنَّ بعض المالكية حَرَّم فى طبل العرس أن يكون بالدُّفِّ شخاليل ، وتبعهم غيرهم ؛ لأَنَّها لم تكن فى الدُّفِّ الذى شرع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم الطبل به فى الأعراس .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه : « لَعَنَ الله بيتاً فيه دف أو طنبور أو عود » ، قال : « وأخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة » .

وفى الحديث الثابت ، عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم : « لست من دد ، ولا دد منى » .

قال الخليل بن أحمد : الدد : النقر بالأنامل .

قال الحسن : ليس الدف من سُنَّة المسلمين .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى معلم أبنائه يقول : ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى ؛ فإنَّه بلغنى عن الثقات أنَّ صوت المعازف ينبت النفاق فى القلب (أو كما قال) .

وقال محمد بن المنكدر : إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك .

وجاء عن الجنيد أنَّه سئل الشيطان : متى تدخل إلى قلوب الإخوان ؟ . قال (أى الشيطان) : عند السماع ، وعند النظر (السماع الذى فيه الطبل والزمر) .

ورحم الله الشاعر الفقيه الصوفى الذى يقول :

يـاعُـصْـبَـةً مـا ضَـرَّ أُمَّـةَ أحـمـد

وسـعـى عـلـى إفـسـادهـا إلاّ هـى

طَارٌ ومِزْمَارٌ ونغمة شَادنٍ !!
أتكونُ قَطُّ عِبَادَةٌ بِمَلاهِى ؟!

* مكاء وتصدية لا عبادة :

والله تعالى قد عاب على الكافرين فقال : ﴿ وَمَا كَانَ صَلاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ ﴾ أى عبادتهم عند الكعبة ﴿ إِلاَّ مُكَاءً ﴾ أى صفيراً وزمراً ﴿ وَتَصْدِيَةً ﴾ أى تصفيقاً .

ولهذا وجب تنزيه العبادة مما عابه الله على الكافرين ، ثُمَّ إنَّ الطبل والزمر لَهْوٌ لا شَكَّ فيه ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ ، ولم يثبت عنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، ولا عن الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة ، ولا عن أئمة الطائفة ، ولا عن الأقطاب أَنَّهم عبدوا الله على الآلات أبداً .

وما ينسب إلى بعض أئمة الصوفية خصوصاً فى بلاد المغرب فهو زورٌ وكذبٌ مما دسَّهُ الحمقى والجهلة وأهل

الفتن على أهل الله تعالى ، ولا قوة إلاّ بالله .

* **كلمة منطق وختام :**

ونحن بهذا الإجمال قد بينَّا ما كفى وشفى ، ولكننا نعطى ميزاناً دينياً مبسطاً ، وهو أنَّ الحلال فى العبادة ما فعله النَّبىُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، أو الصحابة ، أو أئمة الدِّين ، فهل ذكر الله على الطبل فعله النَّبىُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ؟! طبعاً لا !! .

فهل نحن أعلم بالدِّين من النَّبىِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ؟ والصحابة والأئمة ؟! طبعا لا .

إذن فلا بُدَّ أن يكون أحدنا على خطأ والثانى على صواب ، وقد سَلَّمْنَا أن النَّبىَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم وأصحابه والأئمة هم أهل الصواب ؛ إذن فنحن بالذكر على الطبل على خطأ لا شَكَّ فيه .

وإذا وضح الخطأ بهذه الصورة الملموسة المحسوسة ؛

فهَلْ من الإسلام التمسك به أم تركه ؟! . . فإذا تمسكنا بالخطأ مع صراحة الدلالة ؛ فهل نكون من المسلمين الملتزمين فضلاً عن الخاصة والواقفين على بابه تعالى؟! .

أيُّها النَّاس : إنَّ الإسلام بريء من الطبل والزمر على الذكر ، فهَلْ أنتم مسلمون ؟!! .

فيا شيوخ هذا الزمان : اسمعوا وأطيعوا ، واتقوا الله فى دينكم ، وإنْ غضب الأتباع ؛ فلن يغنوا عنكم من الله شيئاً ؛ اللَّهُمَّ فاشهد !! .

أمَّا بعـــد ..

فهل تجد رجلاً مثقفاً ذا مروءة ، أو رجلاً فقيهاً فى دينه ذا كرامة ، ضابطًا كان أو قاضيًا أو عالمًا أو مديرًا أو رئيسًا ، أو من أعيان النَّاس وكرامهم ، أو من السَّادة المسئولين ، أو نحوهم : هل يقبل أن يندمج فى وسط المطبلين والمزمرين فى الذكر . . وزفة الخليفة . . والرؤية . .

وحفلات الأفراح . . والمناسبات . . والمواكب . . والرايات . . والأوشحة . . وما إلى ذلك ؟!

اللهُمَّ لا ، ثُمَّ لا ولا ، بحكم الكرامة الشخصية والدِّين السليم ، و ... ، و ...

إنَّ من أخطر أسباب القضاء على التصوف هو المحافظة على هذه الصور المهزوزة المهزولة القلقة فى دين الله . و « إنَّ الحلال بيِّن ، وإنَّ الحرام بيِّن » ، وقد ضربنا للنَّاس الأمثال ، ﴿ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ** ﴾ .

اللَّهُمَّ فاشهد !! .

* * *

خواطر وذكريات ثائرة
فى ذكرى المولد النبوى الأشرف

نحبُّ أنْ نقدِّمَ بين يدى هذه الكلمة ، بأننا نعتقد أنَّ الحب الحق لسيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم إنَّما يكونُ بالفقه بدينه ، والاعتصام بهديه ، والتزام سنته ، واقتفاء خطاه ، اعتقاداً وفكراً ، وقولاً وفعلاً ، فى يسرٍ ومرونة وحكمة ، علماً بأنَّ من يترك بعض السنة تقصيراً ، ليس بفاسقٍ ولا فاجر .

وما الكلامُ والكتابة عن حبه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم إلا تعبيراً عن العاطفة ، وما تثمره من الإدراك الروحى الذى يُفاضُ على المُحِب ، فهو يسجله فى معانٍ تقريبية ، من الأصوات والحروف .

فلسنا فى حاجة بعدُ إلى من ينبهنا إلى هذا المعنى ؛ فهو عندنا ملحوظ ، مطبق محفوظ .

أنماط ومستويات :

النَّاسُ فى استقبال ذكرى المولد الشريف ، أنماطٌ ومستويات ، ومذاهبُ وأخلاق ، فمنهم من يستقبله فَرِحًا ، معبرًا عن غبطته ، بما يوفقه الله إليه من قول طيب أو عمل مبرور ، مستبشرًا مُبَشرًا سواه ، متذكرًا مُذكِّرًا بنعمة الله ، وحقِّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، مُحَدِّثًا كان ، أو كاتبًا أو شاعرًا ، أو ممولاً ، أو محبًا صادقًا ، له نصيبٌ من الفيض والمدد .

ومنهم مَنْ لا يهتم بشىء فى هذه الذكرى إلا بالتشغيب والمخالفة ، وتسفيه ما يندفع إليه النَّاسُ من المباحات ، بحكم حبهم الخالص لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

فمَنْ ذَكَرَ منهم نُورَه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قالوا : كَفَر !! . ومَنْ ذكر معجزاته المختلفة ، قالوا : خَرِف !! .

ومَنْ انفعل بصيغ الصَّلاة والسَّلام عليه، قالوا : تبدع ! .

ومَنْ نَسَبَه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم إلى العصمة ، قالوا : تَفَسَّق !! .

ومَنْ ذكر أبويه أو عمّه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بالخير ، قالوا : تزندق !! .

ومَنْ حاول تمجيده صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، قالوا: فَجَرَ !! .

ومَنْ توسَّل به صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم إلى الله ، قالوا : أشرك !! .

ومَنْ أحَبَّ آل بيته صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، قالوا : تبطَّن !! . ومَنْ زار قبره أو قبور أبنائه ، قالوا : توثن !! .

ومَنْ ذكره بالسِّيَادة أقاموا الدُّنيا وأقعدوها عليه !! .

عقدة سيادته صَلَّى اللهُ عليه وآله وسَلَّم :

ذلك فى الوقت الذى قد يذكر أحدُهم ولىَّ نعمته فى الدُّنيا ، والمخصوصَ بولائه العاطفى من رءوس المذهبية الكريهة ، فيقول : « مولانا ، أميرَ المؤمنين ، صاحبَ الجلالة ، الملكَ المعظم » ، فيضفى عليه من ألقاب الألوهية ما لا يطيقه فقه ، ولا يرضاه توحيد ، ولا يعرفه دين من عند الله ولا تجديد ، ومع هذا فهو عندهم مُتَعَيَّنٌ مفروض .

وأنت إذا ما خاطبتَ أحدهم ، دونَ أنْ تقدِّم بين يدى (اسمه) لقبَ الأستاذ أو الإمام أو الشيخ أو الدكتور أو المهندس أو الضابط مثلاً ، رماك بالعظائم ، وربما قدَّمك إلى القضاء بتهمة (قلة الأدب) على الأقل ! ! .

فإذا وازنتَ له - مع الفارق - بين هذا وبين النطق بسيادة سيد البشر غير منازع ، راغَ منك وزاغ ، وسترَ الحقدَ والعصبية وسوء الأدب ، بالعذر الذى هو أقبحُ من

الذنب ، وربما تماكر وتداهى وقال : إنه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ليس فى حاجة إلى تمجيدٍ بعد أنْ مجده الله رب العالمين .

فنقول : إذا كان الله قد مجَّده ، فلماذا تخالف أنت عمَّا اختاره الله وقضى به ؟! .

وإذا كان صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ليس بحاجة إلى ذكْرِ السيادة والتمجيد ، فهذا حق ، غيرَ أننا نحن فى أشدِّ الحَاجة إلى الأدب معه ، بتقرير هذه السيادة وتكريرها – ولو فى غير ما ورد به نص – ، إلا أن يكون هناك من هو أحَقُّ بالسِّيَادة منه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، ومستحيل أن يكون .

إنَّنَا نكون فى حاجة إلى تجديد إسلامنا ، إذا دَاخَلنا الشَّكُّ لحظةً فى سيادة المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم .

وما دام هذا هو اليقين فماذا يمنعنا من التصريح به ؟!

فهكذا ترى من يغفلون ذكرَ سيادته صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم تفلسفًا ، مُلْحَقُونَ بمن يغفلون ذكر السيادة حقدًا ، أو سوءَ أدب ، وشرٌّ من هؤلاء وأولئك ، الذين يغفلون ذكر سيادته صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم تقليدًا وتعصبًا ، أو لا مبالاة ، واعتصامًا بأحدِ الأدنيين ، وربما باسم السنة والتوحيد ؟!

مبالغة فى سوء الأدب :

ثمَّ هم يُصَابون بالحمى الرعدة ، وبكل ما فى العصبية من تشنجٍ وتقلص واستقطابٍ وصرع ، إذا ذكر صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بخصيصةٍ تميزه عن سائر البشر ، خصوصًا بعد مماته .

فحياته صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم عندهم لا تختلف عن حياة أى صعلوك منهم ، أو من غيرهم ، إلا بمجرد الأمانة فى تبليغ الوحى ، ثم هو بعد الموت جسدٌ رميم ،

شأن جسد كل بشر مسلم أو يهودى أو مجوسى أو صابئى أو مسيحى أو بوذى ، لولا أنَّ الأرضَ لا تأكلُ أجسادَ الأنبياء ! ! بل ربما كان لهم فى هذا تأويل وريبة ، باسم العلم والسُّنَّة والتوحيد ! !

فمَنْ زار قبره صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم عندهم أذنب وأثم ، ووجب أنْ يستتاب .

ومَنْ توسَّل بجاهه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ارتدَّ ، وحقّت عليه كلمةُ العذاب .

ومن مدحه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بـ « بردة البوصيرى » استوجب التعزيرَ أو التكفير .

ومن صَلَّى عليه وسَلَّم بـ « دلائل الخيرات » ، استحَقَّ جهنَّم وبئس المصير ! .

ومن امتدحه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم بشىء من كلام السَّادة أخرجوه من دين الله .

اللّٰه والنَّبىُّ والعصا :

ألست ترى أحدهم ينحطُّ ذوقًا وفقهًا وأداءً وأدبًا ، فيفاخر بأنَّ عصاه أفضلُ أو أنفع ، من النَّبىِّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فى قبره !! ، ويزيد سفاهة بأن يعمدَ إلى بعيره فيقسم عليه بالنَّبىِّ أن ينهض ، فطبعاً لا ينهض البعير ، فيضربه بالعصا فينتصب قائمًا ، ثُمَّ يتخذ من هذه القضية الحيوانية الغبية حكمًا على القضايا الإنسانية والسماوية .

على حين أنَّ الأمر سهل ، والحجة لدينا ملزمة ، فهو لو أقسم على بعيره بالله تعالى لما قام البعير قطعًا ، فهل تكون العصا فى هذه الحالة أفضل من الله ؟ ، ونستغفر الله وأتوب إليه !! .

لقد فقدَ هؤلاء النَّاس الحياءَ بعد أن فقدوا التعقلَ والأدب .

لقد ظنَّ الرجل الذى أقسم على البعير ، أنَّ البعيرَ

عاقلٌ مكلَّف ، وأنَّه يفهم اللغة العربية ! ! ، ومَنْ يصل به الأمر إلى هذا الحدِّ من الإسفاف والحماقة والسَّفه ، فقد استوجب الإشفاق وعدم الحساب ، فهو ممن رُفع عنهم القلم ! ! .

عُقْدة نور النَّبىِّ :

ولدى هؤلاء جميعًا عُقْدة مُعَقَّدة ، هى عُقْدة « نور النَّبىِّ » ، وأنت لا تدرى ولا منجمٌ يدرى ، ولا هم أنفسهم يدرون : لماذا يمتنع - شرعًا ، أو عقلاً ، أو لغةً ، أو علمًا معمليًا ثابتًا - أنْ نُسَمِّىَ النَّبىَّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم نورًا ، أو نقول إنَّ أصلَه النور ، سواء على الحقيقة أو المجاز .

إنَّ الله تعالى سمَّاهُ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم نورًا ، فقال : ﴿ **وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا** ﴾ .

ومن هنا نعتقدُ أنَّه المراد بقوله تعالى : ﴿ **قَدْ جَاءَكُم**

مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ ، فالنَّبىُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم قرآنًا وشرعًا : نور !!

وفى الحديث الثابت : كان صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم يقول : « اللهُمَّ اجعل لى نورًا ، واجعلنى نورًا ، وزدنى نورًا » .

وها هو ذا العلم المعملى التجريبى الحديث ، الذى لا يقبل طعنًا ولا لجاجة ، قد قرَّرَ أنَّ جميع الكائنات على جميع المستويات أصلها « الذَّرَّة » ، والذَّرَّة كهرباء وطاقة وإشعاع (أى نور) ، فكُلُّ الأكوان بكل ما فيها ومن فيها أصلها النُّور ، فالنَّبىُّ صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم علمًا وعَقْلاً : نور .

إنَّ الخواطر تزدحم على نفسى بكثرة كاثرة ، من مهازل هؤلاء النَّاس الذين يصرفون الأمَّة عن مهماتها وملماتها الكبرى ليشغلوها بتوافه قشرية سطحيَّة ، تمكن

لعدوها من عقيدتها ، وتفتح له أبواب التقحم عليها ، وهى توزع الأمَّة أوزاعاً وتفرقها فرقاً ، وتمزقها تمزيقاً ، وتجعل من الوالد عدواً لولده ، ومن الأخ عدواً لأخيه ، لا يجتمع معه فى مسجد ، ولا يظاهره على عبادة ، وتجعل من القرية - بل من الضيعة والعزبة - طوائف يحارب بعضها بعضاً ، إلى درجة العراك بالأيدى والعصى ، وربما إلى ما وراء هذا ، مما يقطع الأرحام ، ويفتت الأكباد باسم « الدِّين » الأسيف ، و « السُّنَّة » المظلومة ، و « التوحيد » المفترى عليه ، ولا حول ولا قُوَّة إلا بالله .

وكتبه ابتغاء رضوان الله ونفع المسلمين

المفتقر إليه تعالى وحده

محمد زكيّ الدِّين بن إبراهيم الخليل بن عليّ الشاذليّ

رائد العشيرة المحمدية ، وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر المحمية

هدية المولد النبوى

يشهد الله ، لم يكن اليوم بخاطرى ، ولا فى طاقتى كتابة كل ذلك ، ولكنَّنى لأسباب خاصَّة وعامَّة ، كنتُ عقدتُ العزم على أن أكتفى بأنْ أهدى إلى سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فى مناسبة ذكرى مولده الشريف قصيدة ممَّا سجلته فى رسالتى القديمة (المورد فى ذكرى المولد) ، ولهذه القصيدة قصَّة :

فقد كنتُ فى حياة العارف بالله ، سيدى وشيخى ، الوالد رحمه الله ، شاباً ميالاً إلى (الإنشاد) مفتتناً به ، مفتناً فيه ، متخذاً لذلك دستوراً ممَّا سبق أن أوردته من أدلة مقنعة ممتعة ، ومهيماً بالإشراقات والمعانى الفاتنة المرقصة فى قول الشاعر الصحابى :

أمَا وربِّ الكعبة المستورهْ

وما تلا محمد من سورهْ

والنغمات من أبى محذورهْ

لأفعلنّ فَعْلةً مشكورهْ

وكنتُ ذات ليلة مع الإخوان ، بدار المرحوم الحاج عبد الحميد دويدار من كبار أعيان جزيرة المساعدة بالواسطة ، وتغنَّى المنشدون بذكريات المولد الشريف ، وهاموا ، حتَّى وقفوا يرددون قولهم :

صَلَّى الله على مُحَمَّد

صَلَّى الله عليه وسَلَّم

فإذا بى أنطق بلا وعىٍّ ، وكأنَّما أقرأ من كتاب ، مرتجلاً هذه القصيدة وأنا فى شبه غيبوبة ، أقول : والإخوان يرددون (صَلَّى الله على مُحَمَّد ...) ، وكان أخٌ من الإخوان هو (المرحوم الشيخ محمود الصعيدى) قد

أدرك أنِّى فى حالة خاصة فأخذ يكتب ورائى ، وكان ممَّا كتبه هذه الأبيات الخفيفات، التى أزجيها اليوم تحيات زاكيات طيبات مباركات ، إلى أشرف أهل الأرض والسماوات ، دون أنْ أمسَّ بيتاً منها بتنقيح أو تعديل ، محافظة على صورتها المتواضعة التى أجراها الله على لسانى ، كما هى فى وقتها ، بلا حول منِّى ولا قوة :

(صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ)

وُلِدَ الْمُخْتَارُ طَهَ وُلِدَ الْمَعْنَى الْمُكَرَّمْ

وُلِدَ السِّرُّ الْمُجَلَّى وُلِدَ الْكَنزُ الْمُطَلْسَمْ

وُلِدَ الْهَادِى عَلَيْهِ رَبُّنَا صَلَّى وَسَلَّمْ

مَرْحَباً بِالنُّورِ يَسْرِى كَاشِفاً مَا كَانَ أَظْلَمْ

هذه الْبُشْرى تَجَلَّتْ وَبِهَا الغَيْبُ تَكَلَّمْ

وَبِهَا الْكَوْنُ تَغَنَّى وَبِهَا الرُّوحُ تَرَنَّمْ

يَا نَبِيَّ اللهِ صَبٌّ فِى هَوَاكُمْ أَنَا مُغْرَمْ
أُلْهِمَ الشَّوقَ فُؤادِى وَفُؤادُ الصَّبِّ يُلْهَمْ
لَسْتُ أَهْلاً لِهَوَاكُمْ وَهَوَاكُمْ خَيْرُ مَغْنَمْ
غَيْرَ أَنِّى فِى حِمَاكُمْ لاجِىءٌ والضَّيْفُ يُكْرَمْ
أَطْلُبُ الْقُرْبَ وَأَدْعُو وَمَعَانِى الْقُرْب أَعْظَمْ
يَا إِلَهِى أَنتَ أَدْرَى يَا إِلَهِى أَنتَ أَعْلَمْ
عَبْدُكُمْ يَشْكُو وَيَبْكِى أَيْنَمَا وَلَّى وَيَمَّمْ
مِن ذُنُوبٍ وَعُيُوبٍ قَدْ أَتَاهَا مَا تَأَثَّمْ
سَالَمَ النَّاسَ وَلَكِنْ مِنْ أَذَاهُمْ لَيْس يَسْلَمْ
فَاهْدِهِ فِى كُلِّ حَالٍ لِلَّتِى عِندَكَ أَقْوَمْ
وَأَغِثْهُ وَأَعِنْهُ وَتَعَطَّفْ وَتَكَرَّمْ
(صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ)

كليمات أساسية
حول دعوة العشيرة والطريقة المحمدية

أولاً : قواعد وأصول ومصطلحات :

أرجو أن تكون هذه الكلمة - بمشيئة الله - كافية فى شرح دعوة العشيرة ، وقد كثر ما شرحناها ، لولا أنَّه لا يزال يتجدد حولنا ما يتطلب التفصيل والبيان ، ولا حيلة لنا إلا تكرار الشرح والتفصيل .

ولقد أكثرنا أن نقول ، وسوف نظل - بإذن الله - نقول : « إنَّه لا معنى لوجودنا إذا كُنَّا نسخة مكررة من غيرنا » . ثُمَّ إنَّه لا بد من التمهيد لتقديم هذه القواعد والمصطلحات ، المقررة فى مذهبنا ملخصة فى الآتى :

(١) الإِسـلام :

دين الله الحق الخاتم العام الخالد ، الجامع لخيرى الدنيا

والآخرة ، وهو وصف لكُلِّ ناطق بالشهادتين من أهل القبلة أينما وكيفما وحينما كانوا .

(٢) المحمديــة :

طلب الكمال ، وتحرى معالى الأمور ، حساً ومعنى ، ديناً ودنيا ، خصوصاً وعموماً ؛ فهى بذلك فرض عين على كل مسلم ومسلمة من كل مذهب ومشرب ، من حيث إنَّها اقتفاء مطلق لقدم الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم ، فى يسر ورفق وسماحة وتقدمية .

(٣) التصـوف :

تعبير اصطلاحى قديم ، ارتضته الأمة ، وخلدته الحياة ، يفيد معنى الإسلام العظيم السمح المتكامل ، كتاباً وسُنَّةً ، صورةً وروحانيةً ، فهو عندنا أقرب الطرق وأيسرها إلى المحمدية ، بل هو المحمدية الصحيحة إذا تطهر وتحرر .

(٤) التمصـوف :

هو : ادعاء التصوف افتعالاً وتعملاً بالخروج عن حدوده

المحددة بشرع الله ، والابتداع فيه ، والتدليس به ، والتنكر له ، والتدسيس عليه ، وسوء استخدامه ، والانتساب إليه .

(٥) والصوفى :

هو : المسلم المحمدى ، الواصل العامل ، أى المسلم النموذجى ، أى المسلم فى أرقى المستويات الخاصة والعامة ، أى الإنسان الكامل ، ونسبته إلى التصوف إنَّمَا هى لمجرد التخصيص والتعريف فى المحيط الإسلامى العام .

(٦) والمتمصوف :

هو : الدعى الخرف المخرق ، والمشعوذ ، والمتظاهر ، والجهول الضلول المبتدع المنحرف ، اعتقاداً أو قولاً أو عملاً ، فهو من طلائع المسيخ الدجال ، وإنْ تبعه الملايين ، وسار بذكره الليل والنهار .

(٧) المشتهر والمستتر :

ولا اعتبار عندنا على الإطلاق ، فى الدعوة إلى الله ، وفى السلوك إليه ، بالاشتهار والاستتار ، فليس لشىء منهما

دلالة ذاتية على الحقيقة المجردة من رضَى الله أو سخطه ، ولكنهما ابتلاء ، ومراد سابق من الله فى غيبه ، لحكمة لا يعلمها إلا هو ، ثُمَّ انظر إلى استتار اسم « ذى الكفل » رسول الله ، وإلى اشتهار اسم « إبليس » عدو الله ﴿**وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ** ...﴾ ، وفى عصرك هذا ربما بلغت شهرة ممثل أو مهرج ألعبان ما لم تبلغه شهرة شيخ الإسلام !! .

(٨) القلة والكثرة :

ثُمَّ لا اعتبار عندنا على الإطلاق فى الدعوة إلى الله ، وفى السلوك إليه بالقلة والكثرة، فليس لشىء منهما دلالة ذاتية على الحقيقة المجردة ، من رضى الله أو سخطه ، ولكنهما ابتلاء ، ومراد سابق من الله فى غيبه ، لحكمة لا يعلمها إلا هو، ثُمَّ انظر إلى « المسيخ الدجال » فهو أكثر خلق الله أتباعاً ، فى مواجهة الموعود المحوط بقلة ظاهرة من أهل الله ، ثُمَّ ها هو ذا الإسلام بكُلِّ جلاله ، كل أتباعه اليوم نحو مليار مسلم ، أى أنَّهم لم يبلغوا عدد أتباع كنيسة واحدة من الكنائس النصرانية ، فإنَّ الكاثوليك وحدهم أكثر من سبعمائة مليون نصرانى .

وفى اليابان والصين آلاف الملايين من البشر ، لا دين لهم، فأية قيمة لهذه الكثرة عند الله تعالى ؟ .

إنَّ الله تعالى أكثر ما ذكر الكثرة فى كتابه مقرونة بوصف لئيم ، وأكثر ما ذكر القلة فيه مقرونة بوصف كريم !! ثُمَّ أمامك المعادلة بين التبر والتبن فى الكثرة والقلة ، (أفلا يعقلون؟) .

(٩) الغنى والفقر :

وبالتالى لا اعتبار عندنا على الإطلاق فى الدعوة إلى الله والسلوك إليه بالفقر والغنى ، فليس لهما دلالة ذاتية على الحقيقة المجردة ، من رضى الله أو سخطه ، ولكنهما ابتلاء ، ومراد سابق من الله فى غيبه ، لحكمة لا يعلمها إلا هو ، ثم انظر إلى قارون وكنوزه ، وإلى سيدنا المصطفى صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم وما كان يعانيه .

ولقد قام الإسلام أول ما قام - ككُلِّ دين سابق - على الفقراء والضعفاء ، والعبيد والإماء ، والفتيان والنساء ، ولو

شاء الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم لكانت له الجبال ذهباً ، ولكان نبياً ملكاً ، ولكنَّه صَلَّى الله عليه وآله وسَلَّم فَضَّل أن يجوع يوماً فيدعو الله ويذكره ، ويشبع يوماً فيشكره تعالى ويقدره ، و « رُبَّ أشعث أغبر ذى طمرين ، مدفوع بالأبواب، لو أقسم على الله لأبره » .

(١٠) إذن : مَنْ نحن ؟ :

وهكذا نرى أنَّنَا أصحاب دعوة إيجابية جادة ، مخططة قدسية ، عريقة عميقة ، صوفية سلفية ، مواكبة لركب ليس للزيف فيها - بحمد الله - نصيب ، وإنَّ شعارنا هو قوله تعالى ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ .

ونحن نرى أنَّنَا نحمى فى الإسلام حمى ، لا ينبغى أن يستباح ، ليس عليه سوانا أحد ، ونسير فى الدعوة إلى الله نفراً ، ونقوم على تراث غالى من أعز وأنفع ما حفظه تاريخ الإسلام ، ولَعَلَّ مَنْ فاتته الخدمة معنا فاته خير لا يعوض ، والله أعلم حيث يجعل رسالته ، ولا نزكى على الله أحداً .

ثانياً : مزيد من إيضاح فى دعوة العشيرة :

يا طالما عرضنا « دعوة العشيرة » إجمالاً أو تفصيلاً ، ونحن هنا نستطيع بإذن الله أنْ نجمل مقاصد العشيرة ووسائلها فيما يأتى :

١ - العمل الدائب على تطهير التصوف الإسلامى ، وتحرره وتطويره وإنصافه من أدعياته وأعدائه معاً ، وخدمته الجامعة كدعوة وبيئة أصيلة أو مذهب عام ، ثم تنفرد بعد ذلك كل طريقة بدعوتها ومشيختها ومنهاجها وتقاليدها على أساس المحمدية ، بحيث تحقق بإيجابيتها الرُّوحية أرقى أهداف الإسلام ، الخاصَّة والعامَّة ، بين الوطن الإسلامى ، وفى المجتمع الإسلامى ، بلا خمود ولا جحود ، فى محيط الكتاب والسُّنَّة .

٢ - من طريق هذه الدعوة الصوفية ، النقية القوية ، تمحى الأمية الثقافية والدينية ، والاجتماعية ، والرُّوحية ، والإنسانية ، والخلقية ، ونكافح الرزائل والانحرافات فى كُلِّ ذلك بالحسنى ، على أساس الحب والسَّلام والعلاقة بالله .

كما نجاهد البدع والمنكرات ، والمذاهب اللادينية والانحلالية ، والخلافات المذهبية ، وبهذا يقل تلقائياً سواد الجهلة والمنحرفين ، ويزيد فى مقابله سواد المتفقهة والصَّالحين . وذلك أنَّ « الأمة كلُّها فرد مكرر إذا صلح هذا الفرد صلحت الأمة » ، والصَّالح لا يصدر عنه إلا صالح ، فكراً أو قولاً أو فعلاً ، وبكثرة الصالحين يشيع الصَّلاح آلياً ، وتطوع الأحوال فتستقيم الأمور ، ويتسامى المجتمع ، ماضياً فى تقدمه الحيوى ، مستدركاً ما فاته من محاب الله ومراضيه .

٣- بما أن التصوف هو المذهب الأعم الأغلب فى العالم الإسلامى كله ، فإنَّ تجمع أئمته وعلمائه ، ودعاته ورجاله ، من أهل القبلة ، فى مؤتمر عالمى واحد ، لخدمة هدف واحد هو (الدعوة الصوفية) ، وإن اختلفت الصور والمناهج ، يعتبر عملاً تاريخياً فريداً جليلاً بحق ، لأنَّه يمهد بالوحدة الفكرية والاعتقادية ، لمكاسب إسلامية محلية وعالمية ، قريبة وبعيدة ، لا تعرف الحدود ، لعل من أقلها التمهيد بالوحدة الرُّوحية للوحدة العملية الجامعة .

٤- ولما كان التصوف بطبعه مذهب حب وسماحة ، وانطلاق وإنسانية ، كان أقدر المذاهب على هضم مختلف الأفكار والمبادىء والمذاهب والاتجاهات ، الدائرة فى الفلك الإسلامى ، وتمثيلها ، ولذلك كان من دعوتنا محاولة التقريب بين مذاهب المسلمين وزعمائهم ، فكرياً وعاطفياً ، فى محاولة لتكتيل الشخصيات والتجمعات العاملة فى الحقل الإسلامى عالمياً ، على المودة والتعاطف ، للتعاون فى خدمة المتفق عليه ، أمراً ونهياً ، والتهادن (مع العذر والتناصح) على المختلف فيه من الفروع الاجتهادية ، للتفرغ لمواجهة المشاكل الكبرى ، متوطنة ووافدة فى دنيا المسلمين ، وحسبنا من التقارب هذا القدر ، الذى إن تحقق ، فجرت من الخير الجامع طاقات إلهية فوق كل تصور .

٥- وفى سبيل تحقيق هذه الغايات العالية ، كان مما تفكر فيه العشيرة بجد :

أولاً : (**المجمع الصوفى العلمى**) ، وعنه تنبسق :

(١) هيئة الفتوى .

(٢) وهيئة الدعاة .

(٣) وهيئة الدراسات الصوفية .

ثانياً : (**المعهد الصوفى العالى**) لتخريج حماة التصوف ودعاته وعلمائه .

٦- يضاف إلى ذلك مشروعات العشيرة الصوفية ، ومنها :

(١) المكتبة الصوفية .

(٢) والجريدة الصوفية .

(٣) والدار الصوفية بملحقاتها ومستلزماتها الثقافية والاجتماعية ، مما نرجو الاستعانة فى تحقيقه واستمراره برجال التصوف الصادقين إن شاء الله .

٧- وكان من نتيجة هذا التصوف الراشد الواعى الحى ، أن يشكل فى تكوين العشيرة :

(١) لجنة دينية روحية .

(٢) ولجنة ثقافية أدبية .

(٣) ولجنة اجتماعية إنسانية .

(٤) ولجنة إدارية مالية .

وذلك لممارسة مجموعة الخدمات الجليلة التى تصطلح بها هذه اللجان ، ومنها إصدار مجلة « المسلم » ، وإنشاء المستشفيات العلاجية ، والمجمعات الإسلامية ، وتيسير الحج ، وتعمير وإصلاح المساجد ، وإنشاء قاعات الاستذكار والمراكز الثقافية ، والمعاهد القرآنية ، والتأهيلية ، وتنظيم الخطب والدروس والمحاضرات والندوات والمؤتمرات والرحلات ، وإحياء المواسم الدينية والمناسبات الرُّوحية والقومية ، ورعاية الطلبة ، وأسرات الصُّوفية وأهل العلم والقرآن ، وتجهيز ودفن الموتى ، والخدمات الطبية ، والإعانة على نوائب الدهر ... إلخ .

وهذا ، وما هو منه ، يعتبر نتيجة طبيعية للتدين السليم ، وإلا كان تديناً نظرياً معطلاً من آثاره الطبيعية الفعلية ، وليس كذلك الإسلام الصحيح .

٨- ولا شَكَّ أنَّ هذا المحيط العريض « محيط دعوة العشيرة المحمدية » بمقتضياته المتشعبة ، وتخطيطاتها المرحلية ، وآمالها العريضة ، وتجاربها وطوارئها ومسئولياتها ، يستنفذ من الجهد والوقت والمال والإيمان والصبر والفكر ، ما قد لا يخطر على البال .

ولهذا نمارس فى متابعتها سياسة « النفس الطويل » ، والتدرج الإمكانى الحكيم ، على ثقة بأنَّ الحق والخير ، كلاهما يعلن عن نفسه ، ويدعو أهله إلى أهله ، ومن لم يعرفه اليوم فسيعرفه غداً ، وما لم يتهيأ لنا إدراكه اليوم ، فقد بدأنا ، وعلى مَنْ بَعْدَنا إتمام المرحلة ، ونعتقد أنَّ لدعوتنا هذه يوماً لا بد آت ، فإنَّهَا من الله ولله وبالله ، وما كان لله دام واتصل .

أمَّا النَّاس فبعضهم لا يفهمنا عن جهل فهو معذور ، وبعضهم لا يفهمنا عن حقد فهو مصدور أو موتور ، وبعضهم يفهمنا ولكنه لا يقدرنا فهو مغرور ، وبعضهم يفهمنا ويقدرنا ولكنه لا يعاوننا فهو مأمول مبرور ، وبعضهم يفهمنا ويقدرنا

ويعاونـنـا - وذلك نـادر - فـهو مشكور مأجور مقدور ، والموفقون فى الله قليل .

والحمد لله ربِّ العالمين .

وصَلَّى الله على سيِّدنَا محمَّد وعلى آله وصحبه وسَلَّم تسليماً .

وكتبه ابتغاء رضوان الله ونفع المسلمين

المفتقر إليه تعالى وحده

محمد زكيّ الدِّين بن إبراهيم الخليل بن عليّ الشاذليّ

رائد العشيرة المحمدية ، وشيخ الطريقة المحمدية الشاذلية

وعضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر المحمية

---

* تمت (الطبعة الثالثة) من هذه الرسالة، وكان الفراغ من صفها ومراجعتها فى يوم الإثنين ١١ من شهر ربيع الأول ١٤٢٤هـ، الموافق ١٢ / ٥ / ٢٠٠٣ م ، راجعها واعتنى بها تلميذ الإمام الرائد : **محيي الدين حسين يوسف الإسنوي** من خريجي الأزهر الشريف ، والله الموفق المستعان .